الحكاية في العصر العربي القديم: دراسة في النشأة والتطور والوظائف

ا.م.د أحلام هادي إبراهيم
ahlam.hadi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
جامعة بغداد/ كلية ابن رشد

The story in the ancient Arab era: A study in its origins, development, and functions

Asst. Prof. Dr. Ahlam Hadi Ibrahim
University of Baghdad / Ibn Rushd College

الملخص

يتناول هذا البحث الحكاية في العصر العربي القديم من خلال دراسة نشأتها وتطورها ووظائفها، متتبعاً جذورها في البيئة العربية قبل الإسلام وما طرأ عليها من تغيرات في العصر الإسلامي، كذلك يحدد الظروف التي أسهمت في نشأتها، وتتبع مسار تطورها الفني والموضوعي عبر العصور المختلفة، فضلا عن ذلك يهتم في أبراز وظائفها الفكرية والاجتماعية والتعليمية والسياسية والجمالية.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي. وقد خلص البحث إلى أن الحكاية العربية لم تكن وسيلة للامتاع والتسلية فحسب، بل ساعدت في نقل الخبرة الإنسانية، وترسيخ القيم والمبادى، وحفظ الذاكرة الجمعية، والتأثير في المتلقي، كما شهدت تطورًا واضحًا في بنيتها وأساليبها بتأثير التحولات الثقافية والاجتماعية والفكرية.

الكلمات المفتاحية: الحكاية، العصر العربي القديم، النشأة، التطور، الوظائف.

Abstract

This research examines the folktale in the ancient Arab era by studying its origins, development, and functions. It traces its roots in the pre-Islamic Arab environment and the changes it underwent during the Islamic era. The research also identifies the circumstances that contributed to its emergence and follows its artistic and thematic development across different periods. Furthermore, it highlights its intellectual, social, educational, political, and aesthetic functions.

The research employs a descriptive methodology. It concludes that the Arab folktale was not merely a means of entertainment and amusement, but also served to transmit human experience, solidify values and principles, preserve collective memory, and influence the audience. It also witnessed a clear evolution in its structure and methods under the influence of cultural, social, and intellectual transformations.

Keywords: Folktale, ancient Arab era, origins, development, functions

.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق طه الأمين وعلى آله وصحبه اجمعين.

يعد الأدب مرآة للحياة الفكرية والاجتماعية والثقافية للأمة العربية عبر العصور، فقد شكلت الحكاية فيه أرثا انسانيا عريقا، فهي تُعدُّ من أقدم الأشكال السردية التي عرفها التراث العربي، تكمن أهمية البحث في أنه يُعنى بدراسة نتاج فكري جميل انتجته الشعوب القديمة التي ارتبطت بنشأة الوعي الإنساني وحاجة الإنسان إلى رواية الاخبار الأحداث، ونقل التجارب، وحفظ الذاكرة الجماعية. وقد شكّلت منذ بداياتها صورة حية تعكس حياة الامة الاجتماعية والثقافية و الفكرية عبر عصورها المختلفة ، فغالبا ماتحتوي حكاياتها على الدروس والعبر ، فكانت وسيلة للتعليم والإمتاع، ونقل الحكمة، وترسيخ القيم والمبادى والعادات والتقاليد للشعوب، وقد نشأت الحكاية العربية في بيئة يغلب عليها الطابع الشفهي، فانتقلت عبر الرواية الشفوية منذ القدم ، الأمر الذي أكسبها تنوعا في الاساليب والموضوعات، ومع ازدهار الحركة العلمية والأدبية في العصر العباسي، متأثرة بالثقافات والتطورات ، شهدت الحكاية تطورًا ملحوظًا لمفهوم الحكاية ، إذ اتسعت بنيتها الفني، وتداخلت مع أجناس أدبية أخرى، فظهرت في كتب الأخبار، والنوادر، والسير، والأمثال، وكتب القصص الخرافي ، وبلغت ذروة نضجها في مؤلفات مثل كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة والمقامات، التي عكست المخيلة العربية .جاء اختيار الموضوع للدراسة انطلاقا من أهميته، لما تمثله الحكاية من فن نثري مميز يجمع بين السرد واللغة والبلاغة، فضلًا عن مكانتها في التراث العربي، إذ تكشف عن براعة كاتبيها في توظيف الإمكانات اللغوية والفني

،فضلا عن أبعادها الفكرية و الجمالية والدلالية ، اعتمد البحث المنهج الوصفي ، لملاءمته طبيعة الدراسة،جاء التمهيد متناولاً ثلاثة محاور رئيسة هي

اولاً: التعريف بالحكاية ومنابعها الاساسية

ثانياً: الحكاية في ضوء الفنون السردية، مقارنة بالقصة والرواية.

ثالثاً: انواع الحكايات، اما المبحث الأول فحمل عنوان المسار التاريخي لفن الحكاية وتطورها في الأدب العربي، والمبحث الثاني التقنيات الفني في الحكاية العربية، والمبحث الثالث جاء بعنوان المرجعيات والعلامات والايحاءات والابعاد الدلالية، وختمت بأهم النتائج التي تبرز اهمية هذه الدراسة التي جمعت بين المتعة والتأثير والتوجيه. وختامتا أسال الله التوفيق والسداد...

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

الإطار النظري

التمهيد

اولا: الحكاية ومنابعها الإنسانية:

تُعَدُّ الحكاية من أقدم الأجناس السردية التي عرفها الإنسان، إذ نشأ ت بنشأة الوعي الإنساني، بوصفها وسيلة أولى للتعبير عن التجربة البشرية، وحفظ الذاكرة الجمعية، ونقل القيم والتجارب والعادات الاجتماعية من جيل إلى آخر. فأسهمت في حفظ ذاكرة الشعوب وتراثها، وقد ظهرت الحكاية في صورتها الأولى شفوية قبل أن تُدوَّن، فكانت أداة للتسلية والتعليم والتوجيه في آنٍ واحد.

عرف العرب الحكاية منذ العصر الجاهلي في صورة حكايات وأيام العرب وقصص البطولة والاساطير وقصص العشاق، وكانت تُروى في الأسواق والمنتديات بوصفها سجلًا لذاكرة القبيلة. ثم تطورت الحكاية في العصر الإسلامي تطورا ملحوظا في نشر القيم الدينية والأخلاقية، وانتشر القصاص في المساجد والمجالس، يعتمدون الحكاية وسيلة للوعظ والتأثير في النفوس مما أكسبها بعدا تربويا وانسانيا **(ضيف، ١٩٦٠: ١٠١)** بلغت الحكاية في العصر العباسي مرحلة متقدمة من النضج الفني، إذ انتقلت من الشفوية المحدودة إلى التدوين الواسع، وظهرت مؤلفات سردية خالدة مثل كليلة ودمنة لابن المقفّع، وألف ليلة وليلة، وكتب الأخبار والنوادر كالأغاني

والعقد الفريد. وتميّزت الحكاية العباسية بتنوّع موضوعاتها، وثراء شخصياتها، واعتماد عنصر التشويق والغرابة وبناء الحدث المتدرج.

والحكاية في اللغة **من جذر الفعل (حكي) كما ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي** ((حكَيتُ فلاناً وحاكيتُه إذا فعلتُ مثلَ فِعْلِه، أو قوله سواء))

والحكاية اصطلاحا هي: جنس سردي يقوم على رواية احداث واقعية او متخيلة، تسرد في تسلسل زمني، وتدور حول شخصيات في زمان ومكان معينين، بقصد الامتاع او الحكمة او نقل التجربة والخبرة الانسانية.٤

ثانياً: الحكاية في ضوء الفنون السردية: مقارنة بالقصة والرواية.

تُعدّ الأجناس السردية من أبرز الأشكال التعبيرية في الأدب العربي منذ القدم، وقد تطوّرت عبر العصور تبعًا لتحوّلات الثقافة والوعي الإنساني. ومن أهم هذه الأجناس: الحكاية، والقصة، والرواية، وهي على الرغم من اشتراكها في خاصية السرد، فإنها تختلف في البناء، والوظيفة، والامتداد الزمني، وعمق التناول الفني.

يتجلّى الفرق بين هذه الأجناس الثلاثة في عدد من الجوانب الأساسية. فالحكاية تتسم بالبساطة والوضوح والخيال والوقع والعبرة وغياب التعقيد الفني، بينما القصة تكون أكثر احكاما وبناء وتقوم على الواقعية او الرمزية والتكثيف ووحدة الحدث، في حين تتسم الرواية بالطول الزمني وتعدد الاحداث واتساع الزمان والمكان والحبكة المركبة. كما تختلف هذه الأجناس في عدد الشخصيات، فالشخصيات في الحكاية محدودة وسطحية غالبًا،

وفي القصة قليلة ولكنها أوضح ملامح **(الهلال ،١٩٩٧: ٥٢٦)**، أما في الرواية فهي كثيرة ومتنوعة تتطور نفسيا واجتماعيا عبر مجرى الاحداث.

كذلك يختلف التعامل مع الزمن والمكان، فالحكاية زمنها غالبا غير محدد، والقصة تحددهما في حيّز محدد ومركز، أما الرواية فتتسع فلترات طويلة وأمكنة متعددة. أما من حيث الوظيفة، فالحكاية تهدف إلى التسلية والحكمة والامتاع، والقصة تهدف إلى تصوير موقف او تجربة انسانية، في حين تسعى الرواية إلى تقديم رؤية شاملة للحياة والانسان والمجتمع بكل تعقيداته **(إبراهيم ،١٩٩٠: ٩٧)**

ثالثاً: أنواع الحكايات

١-**الحكاية الشعبية:** نصٌّ سرديٌّ شفاهيٌّ، تناقلته الاجيال جيل بعد جيل تعبر عن ثقافة المجتمع وقيمه ومعتقداته وعاداته، ويقوم على الخيال والاساطير الشعبية وقد يستند إلى وقائع واقعية صيغت صياغة فنية رمزية أو عجائبية وقد عرفها احمد مرسي ((هي أحد أشكال السرد الشعبي، يقوم على الخيال والتداول الشفهي، ويعكس البناء النفسي والاجتماعي للجماعة الشعبية التي أنتجته) **(مرسي،١٩٨٤: ١٠٧)**

٢- **الحكاية التعليمية: نوع** من انواع الحكايات يُبنى على السرد القصصي يجمع بين التشويق والافادة، بهدف نقل المعرفة، او غرس قيم اخلاقية وانسانية او تعليم مهارة معينة، ويُسخَّر فيه الحدث والشخصية والرمز لخدمة غاية تعليمية أخلاقية أو درسا تربويا، وقد يكون مصدرها التراث الشعبي والديني والحكمي. وقد عرّفها عبد الحميد يونس بقوله: ((الحكايات التعليمية هي تلك التي تتخذ من السرد وسيلة لتوصيل القيم الخلقية والمعارف

الاجتماعيـة، وتوجـه السـلوك الإنسـاني توجيهـاً غيـر مباشـر) **(يـونس،١٩٩٥: ١٤٢)**

٣- الحكايـة الادبيـة: نـصٌّ سـرديٌّ فنـيٌّ وجمـالي، يعبـر عـن فكـرة او تجربـة انسـانية، يهـتم بجمـال اللغـة والاسـلوب يُبنـى وفـق قواعـد فنيـة وجماليـة محكمـة، ويعتمـد الخيـال والصـياغة المقصـودة، لا يقتصـر علـى التسـلية، بـل يحمـل دلالات فكريـة او قيميـة وقـد يسـتلهم مادتـه مـن الواقـع أو مـن التـراث الشـعبي، لكنـه يخضـع فـي تشـكيله لإرادة المبـدع. وقـد عرّفهـا عبـد الملـك مرتـاض بقولـه ((الحكايـة الأدبيـة بنـاء سـردي يقـوم علـى قصـدية فنيـة واعيـة، ويخضـع لشـروط الصـياغة الجماليـة، ولا يقـوم علـى التلقـين الشـفهي بـل علـى التـدوين والكتابـة)) (إبراهيم ،١٩٩٤: ٥٤)

٤- الحكايـة الرمزيـة: نـوع مـن الحكايـات يتجـاوز المعنـى المباشـر عـن الأفكـار والقـيم مـن خـلال الرمـز والإيحـاء، حيـث تتخـذ الشخصـيات والأحـداث دلالات تتجـاوز معناهـا الظـاهر إلـى معـانٍ فكريـة أو أخلاقيـة أو سياسـية، يقـوم علـى البنـاء الرمـزي غيـر مباشـر للمعنـى. وقـد عرّفهـا عبـد الحميـد يـونس بقولـه ((الحكايـة الرمزيـة هـي التـي يُقصـد بهـا معنـى غيـر المعنـى الظـاهر، ويكـون الرمـز فيهـا وسـيلة للتعبيـر عـن قـيم الجماعـة ومواقفهـا فـي صـورة قصصـية موحية) **(يونس،١٩٩٥: ١٥٨).**

المبحث الأول: المسار التاريخي لفن الحكاية وتطورها في الأدب العربي

اولا: الحكاية في الأدب الجاهلي

ثانياً: الحكاية في العصر الإسلامي

ثالثاً: الحكاية في العصر العباسي

رابعاً: الحكاية في الأدب العربي الحديث

المسار التاريخي لفن الحكاية وتطورها في الأدب العربي

اولا: الحكاية في الأدب الجاهلي

تعد الحكاية في الادب الجاهلي من أقدم اشكال السرد العربي، لأنها تمثل مدخلا أساسيا لفهم البنية الذهنية والثقافية للمجتمع العربي القديم، وتكشف عن طبيعة تصوراته عن ايام العرب وقصص الابطال والفرسان والسلطة والحب والدين والغيبيات، كما تسهم في تتبع الجذور الأولى للفن السردي العربي الذي سيشهد تطورا كبيرا في العصور الإسلامية اللاحقة. لم تكن الحكاية في العصر الجاهلي نصا مكتوبا، بل كانت خطابا شفهيا يُروى ويتناقل مشافهة، وذاكرةً تحفظ، اخبار العرب وبطولاتهم، وقيمهم. كان الراوي يحتل مكانة مرموقة في المجتمع الجاهلي . شيخًا أو شاعرًا أو حكيمًا . يتصدّر المجالس والاسواق عند الحديث تخفت الاصوات، وتنعقد الاسماع على حديثه.

انطلقت الجذور الانسانية للحكاية الجاهلية في بيئة انسانية بدائية تعاني من واقعا قاسيا، تهيمن عليه صراعا ت البقاء وتقلبات الطبيعة، لذلك امتلأت

بحكايات الجنّ، والأساطير، والبطولات، والفرسان، والرحلات، والمغامرات الخارقة. الجاهلي فسّر الظواهر الطبيعية بالقوى الغيبية، فينسج الصحراء أسطورة حول فضاءها الواسع الى عالم يكتنفه الغموض والعجائبية، تعبيرا عن رهبة الانسان الى المجهول. وهكذا امتزج الواقع بالخيال امتزاجًا فطريًا، حتى لم يعد المتلقي قادرا على التمييز ما هو واقع وما هو متخيل نتيجة تداخل العناصر الاسطورية مع احداث الحياة اليومية.

واتخذت الحكاية الجاهلية وظائف متعددة، كالوظيفة الترفيهية التي كانت وسيلة للتسلية تهدف الى امتاع المتلقي واثارة التشويق والتخفيف من اعباء الحياة اليومية، ووظيفة تربوية واخلاقية، تغرس مفاهيم الفروسية، والكرم، والشجاعة، والصدق والامانة. وكانت أيضًا مستودعًا للحكمة والتجربة، فضلا عن الثقافية التي حفظت التراث الشعبي ونقلت العادات والتقاليد والوظيفة الاجتماعية التي عبرت عن قضايا المجتمع والنفسية وغيرها من الوظائف التي ادتها وظائف تجاوزت حدود التسلية والامتاع.

ولم تكن الحكاية الجاهلية منفصلة عن الشعر، بل كانت تغذّيه ويغذّيها، فالشاعر الجاهلي كثيرًا ما استمد مادته من الحكايات الشفوية، وصاغها في قالب قصصي شعري، فحفظت لنا المعلّقات وغيرها أثرًا حكائيًا واضحًا في وصف الأطلال، والرحلة، والمعركة، والمغامرة. وبذلك أسهمت الحكاية في تكوين الحسّ السردي المبكر في الأدب العربي. **(ضيف، ١٩٦٠: ٩١)**

جاهلي من المجهول وهكذا يمكن القول إن الحكاية في العصر الجاهلي شكلت النواة الاولى للسرد العربي،

إذ لم تكن مجرد وسيلة للتسلية، بل جمعت بين الإمتاع والإفادة، فضلا ن ذلك حفظت الموروث الثقافي، إذ شكلت نظامًا ثقافيًا متكاملًا يعبّر عن رؤية الإنسان العربي للعالم، ويكشف عن مخاوفه، وتطلعاته، وصراعه مع الطبيعة والمجهول. كما مثلت رافد مهما واساسيا من روافد التراث العربي لتثمر فيما بعد فنونا أكثر نضجا، كالقصة والرواية والمقامة.

ثانياً: الحكاية في العصر الإسلامي

تمثل الحكاية في العصر الإسلامي امتدادًا متطورًا للحكاية الجاهلية، غير أنّها اكتسبت أبعادًا جديدة في موضوعاتها ووظائفها وقيمها، إذ تغيرت مضامينها بتأثير الذي أحدثه الإسلام في بنية المجتمع الاسلامي، واصبحت تؤدي دورا تربويا ودعويا وأخلاقيا، بعد ان كانت في الجاهلية تدور حول اخبار العرب وايامهم وبطولاتهم والاساطير.

مصادر الحكاية في العصر الاسلامي:

1 - القرآن الكريم والسنة النبوية

مثل القرآن الكريم اهم مصدر للحكاية في العصر الاسلامي، إذ مثل الأثر الأكبر في توجيه مسار الحكاية الإسلامية، بما يشتمل عليه من قصص الانبياء والامم السابقة التي تمثل نماذج عالية للفن القصصي، مثل قصص الأنبياء: قصة يوسف، وموسى، وإبراهيم، ونوح، وغيرهم. وقد جاءت هذه القصص بأسلوب فني بليغ يجمع بين صدق الخبر وجمال العرض وسمو المقصد، كما يهدف إلى العظة والاعتبار وترسيخ العقيدة والقيم الأخلاقية.

يقول الله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾ (يوسف: ٣).

وقد جعل هذا التوجيه القرآني من القصص وسيلة أساسية من وسائل التعليم والتذكير، فضلا عن الهداية والعبرة. كما أسهمت السنة النبوية في ترسيخ البعد التربوي للحكاية من خلال الأحاديث التي تقوم على السرد القصصي، كأحاديث بني إسرائيل، وأحاديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، وغيرها، وكلها تقوم على بنية حكاية ذات بداية وعقدة ونهاية تحمل مغزى أخلاقيًا.

ثالثاً: الحكاية في العصر العباسي

١ –المقامات

شهدت الحكاية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في جانب النضج الفني، مهد لظهور شكلًا جديدًا هو المقامات، التي لم تعد الحكاية فيها مجرد خبر يُروى أو حادثة تُسجَّل، بل اصبحت حكاية قصيرة تروى بأسلوب مسجوع، تمتزج بها السردية بالحوار، ويقوم على الراوي والبطل والحدث والحوار والزمان والمكان واللغة البلاغية. فقد نشأت المقامات في بيئة عباسية مزدهرة بالعلم والجدل والأسواق والطبقات الاجتماعية المتغايرة، فانعكس هذا الثراء الحضاري في بنائها الحكائي المحكم، وحوار حي، وشخصيات مؤثرة، حيث يظهر البطل محوري في كل مقامة يتنكر في هيئات مختلفة، متسوّلًا مرة، وواعظًا مرة، وخطيبًا مرة، وشاعرًا مرة أخرى، لكنه يمتلك ذكاء" حادا"، وفصاحة نادرة للدهاء والاحتيال فضلا عن القدرة البلاغية لتحقيق غاياته.

ويُعدّ بديع **الزمان الهمذاني** (ت ٣٩٨هـ) مؤسس فن المقامات في العصر العباسي، اشتهر ببلاغته الفائقة، وسرعة بديهيته، وتمكنه من اللغة، إذ ابتكر بناءً ثابتًا يقوم على راوٍ دائم هو عيسى بن هشام، وبطل مغامر هو أبو الفتح الإسكندري، تجري على يديه سلسلة من الحوادث المتلاحقة التي تقوم على الخداع والمفارقة وكشف زيف الواقع الاجتماعي. وقد جاءت مقاماته حكايات قصيرة مكثّفة، تبدأ بلقاء عابر، ثم تتطور إلى عقدة، وتنتهي بانكشاف حيلة البطل، في بناء سردي قريب مما يُعرف اليوم بالقصة القصيرة، مع امتزاج السرد بالحوار والسجع والصنعة البلاغية الرفيعة **(ضيف، ١٩٦٠: ٦٩٩)**.

ثم جاء **الحريري** (ت ٥١٦هـ) أبرز من طور فن المقامة بعد الهمذاني، ارتقى بالمقامة من حيث الصياغة اللغوية والاتساق الفني، فجعلها أكثر إحكامًا وأشدّ تعقيدًا في البناء اللفظي، مع المحافظة على جوهرها الحكائي القائم على المغامرة والتنقّل والخداع. وبطل مقاماته هو أبو زيد السروجي، الذي يجوب المدن والأسواق، متنقّلًا بين الحيل والأقنعة، في صورة تعكس اضطراب الواقع الاجتماعي وتناقضاته. ومع أن مقامات الحريري غلبت عليها الصنعة اللفظية، فإنها بقيت حكايات مكتملة العناصر، تقوم على حدث وشخصية وزمان ومكان ونهاية مفارِقة **(ضيف، ١٩٦٠: ٦٩٩)**.

وبذلك يمكن القول إن الحكاية في العصر العباسي شهدت تطورا كبيرا، في صورتها المقامية، اذ تجاوزت اسلوب السرد التقريري المباشر الى بناء أكثر نضجا وتعقيدا، فغدت تعيد تشكيلها في قالب فني متكامل فانتقلت من

تسجيل الحدث إلى تمثيلها ادبيا، ومن الخبر المجرد إلى القصة، فأصبحت المقامات فنا نثريا مستقلا يحتل مكانة بارزة في تاريخ السرد العربي القديم.

مثال تطبيقي لنص المقامة هي مقامة بديع الزمان الهمذاني التي تحمل طابع حكائي

المقامة القردية:

حَدَّثنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَما أَنا بِمَدِينَةِ السَّلامِ، قَافِلاً مِنَ البَلَدِ الحرَامِ، أَمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ، على شاطئِ الدِّجْلَةِ، أَ

تَأَمَّلُ تِلْكَ الطَّرَائِفَ، وَأَتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخَارِفَ، إِذْ انْتَهَيْتُ إِلَى حَلْقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي الطَّرَبُ أَعْنَاقَهُمْ، وَيَشُّقُ ال

ضَحِكُ أَشْداقَهُمْ، فَسَاقَنِي الحِرصُ إِلى مَا ساقَهُمْ، حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوتِ رَجُلٍ دُونَ مَرأَيَ وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الهَجْمَةِ

وَفَرْطِ الزَّحْمَةِ، فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ، وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ، فَرقَصْتُ رَقْصَ المُحَرَّجِ، وَسِرتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ، فَوْقَ ر

ِقَابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هَذا لِسُرَّةِ ذَاكَ، حَتَّى افْتَرَشْتُ لِحَيَةَ رَجُلَيْنِ، وَقَعَدْتُ بَعْدَ الايْنَ، وَقَدْ أَشْرَقَنِي الخَجَلُ

بَرِيقِهِ، وَأَزْهَقَنِي المَكانُ بِضِيقِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ القَّرادُ مِن شُغْلِهِ، وانْتَفَضَ المَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ، قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي الدَّهَشُ حُلَّتَهُ، وَوَقَفْتُ لأَرَى صُورَتَهُ، فَإِذا هُو واللهِ أَبو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ، فَقُلتُ: مَا هَذِهِ الدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

الذَّنْبُ لِلأَيَام لاَ لِـي * فَاعْتِبْ عَلَي صَرْفِ اللَّيالِي**

بِالحُمْقِ أَدْرَكْتُ المُنَى * وَرَفَلْتُ فَي حُلَلِ الجَمَالِ**

تتميز مقامة بديع الزمان الهمذاني بطابعها السردي متقنة ومتماسكة ، تقوم على راوٍ واعي بوظيفة نقل الوقائع وتأطيرها ،و بطل يتكئ على الذكاء والحيلة في مواجهة الظروف ، فضلا عن حبكة فنية تتنامى احداثها عبر التشويق والمفارقة, والأسلوب البلاغي الجزل الميال الى الايجاز وكثافة المعنى, حاملا في طياته أبعادا تعليمية واجتماعية، حيث تكشف سلوك الافراد وعادات المجتمع في عصره عبر حكايات بطلها "أبي الفتح الإسكندري" الذي يجمع المال بالحيلة (الكُدية)، مما يقدم دروساً أخلاقية واجتماعية في إطار فني يقوم على الحكمة والعبرة .

١- كليلة ودمنة

يُعَدّ كتابُ كليلة ودمنة من أعظم المصنَّفات التي أسهمت في تكوين النثر الفني والفكري في التراث العربي، لما يحمله من ثراءٍ في المعاني، وعمقٍ في الرؤية، وتنوّعٍ في الأغراض الأخلاقية والسياسية والاجتماعية. وقد ارتبط هذا الكتاب منذ ظهوره في الثقافة العربية باسم عبد الله بن المقفّع، الذي نقله عن اللغة الفارسية إلى العربية في العصر العباسي، فجعله أثرًا عربيًّا خالدًا بعد أن كان نصًّا هنديًّا ثم فارسيًّا في أصله.

ويرجع الأصل الأول للكتاب إلى الهند، حيث وُضع على لسان الفيلسوف بيدبا الذي أراد أن يهدي الملك دبشليم إلى أسس الحكم القائم على العدل والحكمة وحسن السياسة. ثم تُرجم هذا الأصل إلى اللغة الفارسية في عهد كسرى أنوشروان على يد الطبيب برزويه، الذي أُوفد خصيصًا لجلب هذا الكتاب لما فيه من كنوز الحكمة، ثم انتقل بعد ذلك إلى العربية بيد ابن المقفّع، الذي لم يكتفِ بمجرد النقل، بل أعاد صياغته بأسلوب عربي رصين

وأضاف إليه من ثقافته ما جعله نصًّا مستقلًّا من حيث القيمة الفني والفكرية.

وقد جاءت ترجمة ابن المقفّع في سياق حضاري وثقافي بالغ الأهمية، إذ تزامنت مع حركة الترجمة الكبرى في العصر العباسي، التي سعت إلى الإفادة من التراث الإنساني في تشييد الدولة العباسية على أسس فكرية وثقافية راسخة. ومن ثمّ لم يكن كليلة ودمنة كتابًا أدبيًا فحسب، بل مشروعًا فكريًا يهدف إلى تهذيب الملوك والرعية، وتقديم رؤية عقلانية في الحكم وتدبير شؤون الدولة. **(مؤنس ،١٩٦٢: ١٤)**

واتخذ الكتاب من الحيوان وسيلة للتعبير عن السلوك الإنساني وقضاياه الكبرى، فجاءت شخصياته الحيوانية رموزًا أخلاقية وسياسية واجتماعية، تمكّن المؤلف من خلالها من نقد الواقع، والتنبيه إلى آفات الحكم ومخاطر الاستبداد وسوء اختيار الأعوان، من غير اصطدام مباشر بالسلطة. **(مؤنس ،١٩٦٢: ٣٣)**

كما يمتاز كليلة ودمنة بكونه كتابًا تعليميًا في جوهره، إذ لا يهدف إلى الإمتاع وحده، بل إلى ترسيخ منظومة أخلاقية تقوم على الحكمة، والتدبير، والتروّي، وحسن العاقبة، فالغاية التعليمية فيه هي المحرّك الأساس لبناء الحكايات وتتابعها، والجانب الفني جاء خادمًا لها لا منفصلًا عنها.

ولا يقف أثر كليلة ودمنة عند حدود النثر العربي، بل تجاوزه إلى آداب العالم، إذ تُرجم إلى لغات كثيرة شرقية وغربية، وأسهم في تشكيل الوعي

الحكمي والأدبي في أوروبا في العصور الوسطى، ولا سيما عبر الترجمات اللاتينية والفرنسية.

وانطلاقًا من هذه الأهمية الأدبية والفكرية والحضارية، يهدف هذا البحث إلى دراسة كتاب كليلة ودمنة دراسة شاملة من حيث نشأته، وبنائه، وشخصياته، ولغته، وقيمه الأخلاقية والفكرية، وأثره في تطوّر النثر العربي.

٣-ألف ليلة وليلة

تُعدّ ألف ليلة وليلة من اهم كتب الحكايات الشعبية في التراث العربي، نقلها عبد بن المقفع عن الأصل الفارسي، تقوم على بنية سردية إطارية يتداخل فيها عدد كبير من القصص داخل إطار حكائي جامع يتمثل في قصة الملك شهريار وشهرزاد. وتمثل هذه المجموعة ذروة تطور الحكاية الشعبية العربية من حيث البناء، والتشويق، وتعدد الشخصيات، والانتقال بين العوالم الواقعية والعجائبية. ولا يُعدّ هذا الكتاب عملًا فرديًا لمؤلف بعينه، بل هو نتاج تراكم ثقافي طويل أسهمت فيه أمم متعددة وبيئات حضارية متنوعة **(نجم، ١٩٨١: ١٠٦)**. ترجع أصول ألف ليلة وليلة إلى التراث الهندي والفارسي والعربي القديم، وجدت في كتاب يُعرف باسم «هزار أفسانة» (ألف خرافة)، وهو بدوره متأثر بالحكايات الهندية، ثم تُرجم إلى العربية في العصر العباسي، ودخلت عليه إضافات عربية كثيرة عبر مراحل زمنية متعددة. وتداخلت هذه الأصول الأجنبية مع الذوق العربي، فأعيد تشكيل الحكايات بما ينسجم مع البيئة الإسلامية، حتى استقرت بصورتها العامة في عصور متأخرة.

تمثل ألف ليلة وليلة نموذجا متكاملا للحكاية الشعبية العربية، بما تجسده من ثراء الخيال السردي، وثراء فني، وبناء سردي أسهم في ترسيخ فن الحكاية وتطورها، وقد حفظت الموروث الثقافي والاجتماعي العربي قرونًا طويلة، وأسهمت في نقل السرد العربي إلى العالمية مع الحفاظ على الخصوصية العربية، لتصبح واحدة من أهم الاعمال السردية في تاريخ الإنسانية.

رابعاً: الحكاية في الأدب العربي الحديث

لم تعد الحكاية في الأدب العربي الحديث مجرد حكاية شعبية شفوية كما كانت في التراث، بل انتقلت من إطارها التقليدي القائم على الرواية الشفوية الى الكتابة الفني تحوّلت إلى بنية فنية واعية تدخل في القصة القصيرة والرواية والمسرح. وأصبحت الحكاية تُستثمر بوصفها أداة فنية للتعبير عن الواقع الاجتماعي والنفسي والفكري، بعد أن تأثرت بالمناهج السردية الغربية، وارتبطت بتطور مفهوم السرد والوعي بالبناء الفني للنص. **(إبراهيم ،٢٠١١: ٢٠٤)**

مثّلت الحكاية أحد الجذور الأساسية التي انطلقت منها القصة العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث أفاد الرواد من التقنيات الحكائية القديمة، مثل السرد الخطي، والمفارقة، والعبرة الأخلاقية، ثم أعادوا صياغتها وفق الأشكال الفني الجديدة. ويعدّ محمد تيمور ومحمود تيمور من أوائل من طوّروا الحكاية التراثية إلى قصة فنية حديثة. **(ضيف١٩٩٩: ٤١- ٤٥)**

تقوم الحكاية القديمة على الرواية الشفوية، اعتمدت الخيال والاسطورة والعبرة، فضلا عن وظيفتها التعليمية والاخلاقية والاجتماعية، في حين تقوم الحكاية الحديثة على بناء فني سردي أكثر نضجا، اصبحت تهتم بالانسان وقضاياه عن إشكالات الإنسان المعاصر. كما انتقلت من الجماعية إلى الفردية، ومن الشفاهة إلى الكتابة، ومن التلقي البسيط إلى القراءة الواعية الناقدة.

أسهمت الحكاية الشعبية في إغناء الأدب العربي الحديث بمخزونها الرمزي والتخييلي، فاستعادها بعض الأدباء بصيغ جديدة، مثل توظيف الأسطورة والحكاية العجائبية في القصة والرواية، كما نجد عند توفيق الحكيم في المسرح، والطيب صالح في الرواية. وقد أعطى هذا التوظيف بعدًا حضاريًا للنصوص الحديثة، وربطها بالذاكرة الثقافية العربية. **(مروة، ١٩٩٠: ١٢١- ١٢٤)**

تمثل الحكاية في الأدب العربي الحديث حلقة وصل بين التراث والحداثة، إذ حافظت على جوهرها السردي القديم، لكنها أُعيد تشكيلها وفق تحولات العصر.

المبحث الثاني

التقنيات الفني في الحكاية العربية

اللغة والأسلوب

القيم والرموز والدلالات

١-البناء الفني للحكاية العربية

اولا: السرد

يُعدّ السرد ركيزة أساسية في بناء الحكاية العربية، إذ يُمثّل العنصر الذي تنتظم من خلاله مكونات الحكاية في بناء فني متكامل، والذي يحوّل الوقائع والأحداث إلى خطاب أدبي متماسك. فالسرد لا يقتصر على رواية الاحداث او نقل الوقائع، بل هو صياغة فنية ينهض بوظيفة تنظيمها وتشكيلها وفق رؤية فنية تُعيد ترتيب الأحداث وتشكيل الشخصيات واختيار الزوايا التي تُقدَّم من خلالها الوقائع. ولذلك يؤكّد الناقد سعيد يقطين أن السرد هو ((فعل رواية الاحداث وعرضها في تسلسل معين، من خلال راو ينقل الوقائع ويقدم الشخصيات في إطار زماني ومكاني محدد، بما يحقق ترابط الاحداث وبناء الدلالة داخل النص الحكائي)) **(عبد الحميد،١٩٣٢ :٥٢)** السرد هو طريقة عرض الاحداث والوقائع في قصة او رواية او اي نص حكائي، بترتيب معين ومن وجهة نظر محددة. ويتحقق السرد عبر مجموعة من التقنيات الأساسية مثل: الراوي الذي يروي القصة، والتبئير الداخلي أو الخارجي الذي يحدّد زاوية الإخبار، والاسترجاع الذي يُعيد القارئ إلى أحداث سابقة،

والاستشراف الذي يكشف توقعات المستقبل، فضلا عن الوصف بوصفه عنصرًا مُكمّلاً لبناء المشهد الحكائي. وتكمن قيمة السرد كونه الأداة الرئيسة التي تنقل بها الاحداث والتجارب الإنسانية فضلا عن دوره في بناء المعنى وتشكيل الرؤية الفني للنص.

ثانياً: الحدث

هو مجموعة الوقائع والافعال المترابطة التي تنتظم داخل النص السردي وفق علاقات زمنية وسببية، فتسهم في بناء الحبكة، وتحريك الشخصيات، وإنتاج الدلالة **(الهلال، ١٩٩٧: ٧٢-٧٥)**، مشيرًا إلى أن فهم الحكاية مشروط بفهم العلاقات السببية والزمنية التي تربط الأحداث بعضها ببعض فضلا عن ذلك يعد الحدث العنصر الاساسي الذي تقوم عليه البنية السردية، إذ لا يمكن تصور نص حكائي من دونه.

ثالثاً: الزمان

يُعَدّ الزمان في الحكاية أهم العناصر التي تقوم عليها البنية السردية، إذ إنّ الحكاية لا تتجلّى إلا داخل إطار زماني يُحدِّد مسار الأفعال ويضبط تحوّلات الشخصيات. ويذهب النقّاد ان الزمان لا يقتصر في النص السردي على كونه إطارا زمنيا تجري به الاحداث، بل هو عنصر فاعل يشارك في تشكيل المعنى، لأنّ تعاقب الأزمنة أو توازيها أو استرجاعها يضفي على الحكاية طابعاً فنياً خاصاً. وقد أشار شكري عيّاد إلى هذا البعد حين عدّ الزمان ((بنية سردية تُظهر من خلالها الشخصية وتُقرأ الأحداث في سياقها الطبيعي أو الفني)) **(عياد، ١٩٨٢: ٧١)**. ويعرف جيرار جينيت الزمان

السردي من خلال العلاقة القائمة بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، مبينا ان دراسة الزمن تقوم على ثلاثة محاور رئيسة هي: الترتيب، والمدة، والتواتر، وهي المحاور التي تكشف الكيفية التي يعيد بها السارد بناء الزمن داخل النص.

رابعاً: المكان

المكان أحد العناصر الأساسية في البناء السردي، فهو الحيز الذي تجري فيه الاحداث وتتحرك فيه الشخصيات وتُنتج من خلاله أفعالها، ولا يُنظر إليه بوصفه إطار جغرافيا للأحداث، وإنما بوصفه عنصراً بنائياً دلاليا وجماليا يسهم في إنتاج المعنى، ويعكس رؤية الكاتب للعالم من حوله. فالمكان في الحكاية قد يكون واقعياً محسوساً، كما في الحكايات الشعبية التي تُحيل إلى الأسواق والبيوت والحقول، وقد يكون متخيلاً رمزياً يُراد به حمل بُعد تأويلي كما نجده في الحكايات الرمزية أو الأسطورية. ويذهب حسن بحراوي إلى أنّ المكان ((الفضاء الذي تجري فيه الأحداث، وتتحرك داخله الشخصيات، وتتشكل عبره العلاقات السردية) **(يقطن،١٩٨٩: ٢٦)**

خامساً: الشخصيات

وتُعدّ الشخصيات أهم مكونات البناء السردي الذي يحرّك الحدث ويتفاعل مع الزمان والمكان، والوسيط الذي تتجسد من خلاله الأفكار والرؤى والقيم داخل النص، فهي العنصر الذي يمنح الحكاية روحها ومعناها. ويشير محمد يوسف نجم إلى أنّ الشخصية ((هي العمود الفقري للحكاية، إذ من خلالها تتحدّد مستويات الصراع والتوتر، وتنبثق العقدة، وتتكامل المعاني))

(نجـــم، ١٩٨١: ٧٥). وتختلـف الشخصـيات فـي الحكايـة بـاختلاف وظيفتهـا ودورهـا فـي الـنص، فقـد تكـون بسـيطة مسـطّحة فـي الحكايـة الشـعبية، لأن هـدفها التوجيـه وتقـديم العبـرة، وقـد تكـون معقّـدة ناميـة فـي الحكايـة الحديثـة فتتغيـر أفكارهـا ومواقفهـا بسـبب الاحـداث التـي تمـر بهـا، فتشـهد تطـورا نفسـيا وأجتماعيـا. ويؤكـد إي. إم. فورسـتر صـاحب أكثـر التصـنيفات تـأثيرا فـي الدراسـات السـردية الحديثـة، أنّ الشخصـية السـردية قـد تكـون "مسـطّحة" ذات بُعـد واحـد، أو "ناميـة" ذات أبعـاد متحركـة، وهـو تقسـيم أفـاد منـه النقـاد العـرب في تحليل الحكاية والرواية.

٢-اللغة والأسلوب

اولاً: اللغة

تعـدُ اللغـة فـي الحكايـة مـن أهـم العناصـر الفنـي التـي تقـوم عليهـا البنـاء الحكـائي، فهـي تمثـل الوسـيط الـذي تبنـئ عليـه الأحـداث والشخصـيات والأزمنـة والأمكنـة، ومـن خـلال القـص والإخبـار تنقـل الافكـار والمشـاعر الـى المتلقـي، ولـذلك فهـي ليسـت مجـرد أدوات لفظيـة، بـل هـي عنصـر بنـائي وجمـالي فـي بنـاء الـنص السـردي، تُحـدّد طـابع الـنص وتشـكِّل هويتـه الفنـي. ويمكـن القـول إن اللغـة فـي الحكايـة فـي أشـكالها االممتـدة عبـر الـزمن تتـراوح بـين البسـاطة والرمزيـة، وبـين المباشـرة والإيحـاء، تبعـاً للغـرض الـذي تسـعى إليـه الحكايـة وطبيعـة جمهورهـا. وقـد أشـار شـكرى عيّـاد إلـى هـذا البعـد حـين أكـد أن ((لغـة الحكايـة تختلـف عـن لغـة الشـعر مـن حيـث الوظيفيـة، فهـي لغـة سـردية وظيفتهـا نقـل الحـدث أولاً ثـم التـزيين البلاغـي ضـمن الحـدود التـي لا

تعيق تدفّق الحكاية) **(عياد، ١٩٨٢: ٩٤)**. ويتبدّى هذا في الحكايات الشعبية، حيث تميل اللغة إلى السهولة والتداول لأنها موجَّهة إلى الذاكرة الجمعية، بينما تتخذ في الحكاية الفني الحديثة جانباً أكثر تصويرية ورمزية نتيجة تطور أدوات السرد واتساع أفق التحديث الأدبي.

ثانياً: الأسلوب

تتجلّى أهمية الأسلوب في الحكاية في قدرته على الاسهام في تشكيل الخطاب الحكائي وتقريبه الى ذهن المتلقي، من خلال ترتيب وتنظيم الأحداث والشخصيات والأزمنة والأمكنة بما ينسجم مع طبيعة الحكاية وغاياتها الفني والدلالية، فاختيار الجمل القصيرة المتتابعة يخلق إيقاعاً سريعاً يناسب الحكايات ذات الطابع الحركي، بينما تمنح الجمل الطويلة المتأنية انطباعاً تأملياً يناسب الحكايات الرمزية أو النفسية. يعرفه احمد الشايب (طريقة الكتابة، او طريقة الإنشاء، او طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير) (الشايب،١٩٩٦: ٨). وعليه يمكن تحديد الأسلوب بأنه الكيفية الفني واللغوية الذي يعتمدها الحكاء في بناء حكايته عن طريق اختيار الألفاظ، وصياغة الجمل، وتنظيم السرد والحوار والوصف بما ينسجم مع طبيعة الموضوع والهدف من الحكاية.

ومن هذا المنطلق أصبحت اللغة والأسلوب معيارين أساسيين في تقييم الحكاية من حيث أصالتها الفني وقدرتها على تقديم رؤية جديدة للعالم.

ثالثا–المرجعيات والعلامات والإيحاءات والابعاد الدلالية

اولاً: المرجعيات

تعكس المرجعيات في الحكاية بُعداً دلالياً وتوجهيا يعكس رؤيتها للإنسان والمجتمع، ويعبّر عن المواقف الأخلاقية والاجتماعية والانسانية والثقافية التي يحملها النص. فالحكاية في جوهرها ليست تقديم المتعة الفني، او للتسلية، بل خطابٌ تربوي وثقافي يسعى إلى غرس مجموعة من السلوكيات في وعي المتلقي، سواء كانت قيمًا اجتماعية مثل والتعاون وصلة الرحم، والوفاء، أو قيمًا دينية وروحية، أو قيمًا إنسانية مرتبطة بطبيعة العالم الذي تقدّمه. وقد تجلت في الحكاية العربية قديما وحديثا مضامين لقيماً أخلاقية واضحة، وترسّخ لمفاهيم الشجاعة والشرف والمروءة والكرم، لأنها اصبحت وسيلة للإصلاح والتثقيف الى جانب متعتها الفني **(عياد، ١٩٨٢: ١٤٥-١٥٢)**

ثانياً: العلامات والإيحاءات

فهي أدوات فنية دالة تُسهم في إنتاج المعنى بطريقة غير مباشرة في الخطاب الحكائي، فتجعل الحكاية أكثر عمقاً وإيحاءً. والرمز في الحكاية ليس شكلاً زخرفياً، بل هو وسيلة لتكثيف التجربة الإنسانية وإضفاء بُعد تأملي على الأحداث والشخصيات وألامكنة. وبذلك فإن وظيفة العلامات والإيحاءات في الحكاية هي توظيف الرمز والإشارة والتلميح لتكوين شبكة من الدلالات التي تجعل القارئ شريكا في إنتاج المعنى وتأويله

، وتتيح العلامة في الحكاية الى دلالة معينة تؤدي وظيفة تواصلية ورمزية، فيتحول الحيوان أو المكان أو الحدث إلى قيمة انزياحية تُشير إلى معنى آخر. وقد أشار سعيد يقطين إلى أن الرمز في الحكاية يُعاد إنتاجه وفق نظام الحكي، بحيث يغدو جزءاً من البنية السيميائية للنص

(يقطن: ١٩٨٩: ٩٨).

ولذلك تتنوع الرموز بين رموز طبيعية كالليل والبحر، ورموز اجتماعية كالسوق والقرية والمدينة، ورموز أسطورية تستعيد الذاكرة الثقافية العربية.

ثالثاً: الابعاد الدلالية

أما الدلالات، فهي مجموع المعاني الظاهرة والضمنية التي يشكلها النص عبر تفاعل عناصر الحكاية فيما بينها، وتتحقق من خلال التأويل الذي ينتج عن العلاقة بين الأحداث والشخصيات والزمان والمكان واللغة والرموز. فالدلالة ليست عنصراً جاهزاً في الحكاية، بل هي حصيلة التأويل. ويؤكد محمد مفتاح في سياق تحليله للسيميائيات العربية أن ((الدلالة تُبنى عبر شبكة من العلاقات النصية، فلا معنى لأي عنصر إلا في سياقه))(مفتاح ،١٩٨٧: ١٩). وهي بذلك تسهم فيما تحمله من قيم ورسائل تتجاوز وظيفتها الى ابعاد إنسانية وثقافية اوسع واشمل

وتتداخل القيم والرموز والدلالات في بنية واحدة، بحيث لا يمكن فصلها، فالقيمة كثيراً ما تتجسد من خلال رمز، وهذا الرمز ينتج دلالة تتجاوز سطح الحدث. فعندما تظهر شخصية فقيرة تتغلب على قوى الشر في الحكاية الشعبية، فإن هذه البنية ليست مجرد حدث عابر، بل هي قيمة اجتماعية

تُعلي من شأن الكادح، ورمز للصراع الأزلي بين الخير والشر، ودلالة على الانتصار الأخلاقي للمجتمع. وعندما تتكرر صورة الطريق أو السفر في الحكاية العربية، فإنها رمز لرحلة البحث عن الذات، وتُنتج دلالة وجودية

وبذلك يتضح أن القيم تُعطي الحكاية رسالتها، والرموز تُعطيها عمقها الفني، والدلالات تُعطيها قابليتها للتأويل، فيتكوّن من تفاعل هذه العناصر نموذج حكائي قادر على التعبير عن الإنسان والمجتمع عبر مستويات ظاهرة وخفية.

المبحث الثالث

اولاً: البعد التربوي والقيمي في الحكاية.

ثانياً: البعد الاجتماعي والسياسي في الحكاية.

ثالثاً: البعد الجمالي والتخيلي في الحكاية.

الابعاد والدلالات

اولا: البعد التربوي والقيمي في الحكاية

١- **البعد التعليمي:** في الحكاية توظيف البناء السردي وسيلة للتعليم في نقل المعرفة والخبرة والقيم الى المتلقي، اذ لا تقصر على الامتاع والتسلية، فالقصص العربية القديمة، مثل كليلة ودمنة، لم تُكتب بهدف المتعة فحسب، بل اتخذت من السرد وسيلة لغرس القيم، وتوجيه المتلقي الى انماط من التفكير والسلوك عبر الاحداث والقصص والامثال. ويذكر ابن المقفع في مقدمته أن غاية الكتاب ((تهذيب الملوك والأمراء وتعليم العامة) **(مؤنس،١٩٦٢: ٥)**، وهو ما يجعل الحكاية إطاراً تربوياً يُقدّم المعرفة بصورة غير مباشرة.

وتؤدي الحكاية دورها التعليمي عبر تقريب المعاني الى المتلقي عند عرض الافكار والمعارف في صور واحداث وشخصيات، مما يسهل فهمها وترسيخها في ذهنه، فضلا عن **توظيف المثل الحكائي:** وهو أسلوب يعتمد على سرد قصة قصيرة تنتهي بعبرة تعليمية، و**تحفيز مهارات التفكير**

والتأمل: من خلال بناء العقدة والحلول، التي تدفع القارئ الى المتأمل في تحليل الأحداث وربط النتائج بالأسباب.

٢-**البعد الأخلاقي:** يعد من أبرز الابعاد التي قامت عليها الحكاية، اذ ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بوظيفة تربوية وانسانية. فهي تهدف تُرسِّخ القيم والمبادى، وتقويم السلوك التي تسهم في إقامة مجتمع مثالي، عبر نموذجي الفضائل المتجسد في الشجاعة، والتعاون، والايثار والرذائل في الظلم، والخيانة، والغدر.

وقد رأى شوقي ضيف أن القصّ في الأدب العربي كان وسيلة أخلاقية قبل أن يكون فناً جماليًّا، إذ اتخذ منه الوعّاظ والقصّاص أداة لنشر الفضائل وتحذير الناس من الرذائل **(الضيف، ١٩٨٨: ١٢٢)**

ثانياً: البعد الاجتماعي والسياسي في الحكاية.

١-البعد الاجتماعي

تنهض الحكاية بوظيفة اجتماعية تعد أحد أهم الابعاد التي تؤديها الحكاية، إذ تعمل على غرس القيم الجماعية في وعي المتلقّي عبر السرد والتمثيل لا عبر الوعظ المباشر. فالشخصيات الحكائية تُقدَّم عادةً في صورتين متقابلتين: صورة إيجابية تجسّد القيم الايجابية المحمودة كالكرم والشجاعة والصبر والتعاون، وصورة سلبية تمثّل نقيضها من بخلٍ أو غدرٍ أو ظلم، وبذلك تسهم الحكاية في ضبط السلوك الاجتماعي وتحديد المقبول والمرفوض داخل الجماعة **(إبراهيم، ١٩٩٤ :٣٠)** كما تؤدي الحكاية دورًا مهمًا في حفظ الذاكرة الثقافية للمجتمع، إذ تُسجِّل أنماط العيش والعلاقات

الأسرية والقبلية، وصور التراتب الاجتماعي، ومواقف الجماعة من العمل والمرأة والسلطة الدينية، كم تسهم في تقويم السلوك الاجتماعي. ومن هذا المنظور، لا تكون الحكاية مجرد مرآة للواقع، بل أداة لإعادة إنتاجه وترسيخه عبر بناء الوعي الجماعي، وتعزيز الانتماء، وترسيخ منظومة القيم والعلاقات الانسانية.

٢-البعد السياسي

يمثل أحد أهم اعمدة الحكاية من ناحية الاهمية في تمثيل الواقع السياسي ونقده، تتجلّى في تمثيل قضايا السلطة والحكم ونقدها بطرائق رمزية وإيحائية بعيدا عن المباشرة. في المجتمعات التي تضيق فيها مساحة التعبير، تلجأ الحكاية إلى الرمز والتخييل لتصوير الحاكم العادل أو الجائر، وتفكيك العلاقة بين القوة والشرعية، من خلال حكايات الملوك والحكماء **(عياد، ١٩٩٧: ١٤٢-١٤٥)**

وتُظهر الحكايات ذات الطابع الرمزي، ولا سيما في كتب مثل كليلة ودمنة وأدب الحكاية العجائبية، نزعةً واضحة إلى نقد الاستبداد والفساد السياسي ودعوة إلى اقامة العدل وحسن الحكم، ولكن عبر أقنعة رمزية لتجنب النقد المباشر (الحيوان، الحكيم، الشخصية الخرافية)، بما يضمن سلامة الراوي والمتلقّي من بطش السلطة.

ثالثاً: البعد الجمالي والتخييلي

١-البعد الجمالي:

تتجلّى القيمة الجمالية للحكاية في قدرتها على تحقيق المتعة الفني من خلال عناصر فنية تُحدث المتعة والتذوّق، مثل حسن الصياغة، وجمال الوصف، وتوظيف الحوار والتكرار الإيقاعي بما يعمق الدلالة، فالحكاية، ولا سيما في صورتها الشفوية، تقوم على لغة قريبة من السامع، لكنها مشحونة بالدلالات والصور، بما يجعل السرد فعلًا جماليًا لا مجرد إخبار **(ابراهيم ،١٩٩٤: ١٨)**

كما تتبدّى الجمالية في تنظيم الحدث وتصاعده نحو ذروة ثم انفراج، وهو ما يخلق توترًا سرديًا يشدّ المتلقي ويضمن استمرارية التلقي، فضلًا عن استخدام التقابل بين الشخصيات (الخير/الشر، الحكمة/الغباء) بوصفه آلية فنية تُسهم في وضوح الدلالة وجمال العرض. وتُسهم هذه العناصر في ترسيخ الحكاية في الذاكرة، وجعلها قابلة للتداول والاستمرار عبر الأجيال.

٢-البعد التخييلي

من أبرز السمات الفني التي تميز السرد الحكائي، له القدرة على توظيف الخيال لبناء عوالم ممكنة تتجاوز حدود الواقع المباشر، تجمع بين الممكن والمستحيل من خلال استحضار العجيب والغريب والخارق، أو إعادة تشكيل الواقع وفق منطق رمزي. فالتخييل في الحكاية لا يُقصد به الهروب من الواقع، بل إعادة تمثيله في صورة رمزية تجمع بين الإمتاع والإقناع لتحقيق غايات فكرية ورمزية.

وتظهر هذه الوظيفة بوضوح في الحكايات العجائبية والرمزية، حيث تتحول الحيوانات أو الكائنات الخارقة إلى شخصيات ناطقة، وتُمنح الصفات الإنسانية، بما يسمح بتمرير أفكار أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية في إطار تخييلي آمن. ويُعدّ هذا التخييل وسيلة فنية لخلق مسافة بين الواقع والنص، تُحرِّر السرد من المباشرة وتمنحه عمقًا دلاليًا.

الخاتمة

يتّضح مما تقدم أنّ الحكاية تعد من أقدم الفنون السردية في الادب العربي القديم، فهي لم تكن فنا عابرا، بل تمثّل نتاج خبرة إنسانية رافقت الإنسان منذ بدايات البشرية في الجاهلية استمدت جذورها من الموروث الشفهي، والاخبار والقصص الديني، والاساطير، ثم تطورت عبر العصور لتصبح الى جانب وظيفتها في التسلية والامتاع الى وظيفة تربوية واخلاقية وتعليمية وثقافية، لما ينطوي عليها من قدرة فريدة على الجمع بين المتعة الجمالية والوظيفة الدلالية. فضلا عن ذلك لها دور كبير في حفظ الذاكرة الثقافية ونقل القيم وخبرات الانسان وتجاربه عبر العصور، مما جعلها نواة حقيقية لنشأة الفنون السردية اللاحقة، مثل القصة والرواية والمقامة.

كما كشفت الدراسة أنّ الحكاية تعتمد في بنائها ووظيفتها على تفاعل عناصرها مجتمعة مع بعضها، وما تحمله من ابعاد ودلالات ورموز وقيم، فضلا عن ذلك عناصر التخييل والرمز والانزياح عن المألوف لتمنح الحكاية غايتها في تميل الواقع من جهة، وفضاء للتخيل والإبداع من جهة اخرى، فهي لا تكتفي بمحاكاة الواقع، بل تعيد صياغته فنيًا، فتجعله أكثر

قابليــة للفهــم والتأويــل، وأشــدّ حضــورًا فــي الــذاكرة الانســانية. وبفضــل هــذه الخصــائص، اســتطاعت الحكايــة أن تــؤدّي دورًا محوريًــا فــي تشــكيل ملامــح السرد العربي القديم ونقطة انطلاق لتطور الخطاب السردي الحديث.

الهوامش

١. تاريخ الادب العربي– العصر الإسلامي ١٠١

٢. حديث الاربعاء ٨٠.

٣. العين (باب الحاء والكاف والياء) ٢٥٧/٣. ووردت أيضاً مادة «حكا» في اللغة العربية على المماثلة والتقليد، إذ جاء في لسان العرب: (حكاه يحكيه حكيًا وحكاية: قال مثل قوله وفعل مثل فعله، وحاكاه محاكاةً: شابهه وقلّده) (لسان العرب، ١٣٦/١٥)، كما ورد في تاج العروس: (حكيت فلانًا وحاكيتُه إذا فعلتَ مثل فعله أو قلت مثل قوله) (تاج العروس، ١٦٣/١٠).

٤. المعجم الادبي ٩٧.

٥. النقد الأدبي الحديث ٥٢٦.

٦. ي المعجم الأدبي ٩٧.

٧. الفلوكور الشعبي ٥٧.

٨. الادب الشعبي ١٤٢.

٩. في نظرية السرد ٥٤.

١٠. الأدب الشعبي ١٥٨.

١١. تاريخ الادب العربي ٣٩٨/١. وينظر أيضاً في في تاريخ الادب الجاهلي ٩١.

١٢. البرهان في علوم القرآن ٤٥٤/١.

١٣. تاريخ أدب العرب ٦٦٩/٥

١٤. المصدر نفسه ٥١٩/٨.

١٥. مقامات بديع الزمان الهمذاني ١٠١.

١٦. كليلة ودمنة بين الأصل الهندي والصياغة العربية ٢٥.

١٧. كليلة ودمنة: دراسة أدبية تحليلية ١٤.
١٨. الرمز السياسي في كليلة ودمنة ٣٣.
١٩. الفن القصصي في التراث العربي ١٠٦.
٢٠. ألف ليلة وليلة ٣٠.
٢١. بحث في البنية السردية للتراث القصصي العربي ٢٠٤.
٢٢. تطور الأدب القصصي في مصر ٤١-٤٥
٢٣. في التراث الشعبي العربي ١٢١-١٢٤.
٢٤. في نظرية رواية الأدب ٥٢.
٢٥. ينظر: انفتاح النص الروائي ٦٠.
٢٦. مدخل إلى علم السرد ٧١.
٢٧. فن القصة القصيرة ١١٢.
٢٨. فن القصة ٥٧.
٢٩. مدخل الى عالم السرد ٩٤.
٣٠. بنية السرد في الرواية ٦٣.
٣١. النقد العربي الحديث ٢١٢.
٣٢. انفتاح النص الروائي ٩٨.
٣٣. ديناميكية النص ٧١.
٣٤. كليلة ودمنة ٥.
٣٥. الفن ومذاهبه في النثر الادبي ١٢٢.
٣٦. أشكال التعبير في الأدب الشعبي ٣٠.
٣٧. السردية العربية ١٤٢-١٤٥.
٣٨. اشكال التعبير في الأدب الشعبي ١٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيلة إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤.

٢. الأدب الشعبي، عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥.

٣. انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

١. ٤. تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠–١٩٩٥، ١٠ أجزاء.

٥. تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

٦. تطور الأدب القصصي في مصر، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩.

٧. الرمز السياسي في كليلة ودمنة، نوري حمودي القيسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨.

٨. السردية العربية: بحث في البنية السردية للتراث القصصي العربي، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.

٩. السردية العربية: بحث في البنية والدلالة، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت–الدار البيضاء، ط١، ٢٠١١.

١٠. الفن القصصي في التراث العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٩٢.

١١. الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.

١٢. الفولكلور الشعبي، أحمد مرسي، دار القلم، الكويت، ١٩٨٤.

١٣. في التراث الشعبي العربي، حسين مروة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

١٤. في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٥. فن القصة، محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١.

١٦. فن القصة القصيرة، يوسف الشاروني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.

١٧. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٨ أجزاء.

١٨. كليلة ودمنة: دراسة أدبية تحليلية، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٢م.

١٩. مقامات بديع الزمان الهمذاني، بديع الزمان الهمذاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م.

٢٠. مدخل إلى علم السرد، شكري عيّاد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

٢١. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، مطبعة دار نهضة مصر، ١٩٩٧.

٢٢. دراسة بلاغية تحليلة لأصول الأساليب، الدكتور احمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٩٦، ط٨

٢٣- ديناميكية النص، د. محمد مفتاح، (١٩٨٧) دار رؤية للنشر والتوزيع، ط١.

Sources and References

The Holy Quran

1. Forms of Expression in Popular Literature, Nabila Ibrahim, University Knowledge House, Alexandria, 1994.
2. Popular Literature, Abdul Hamid Younis, Egyptian General Book Organization, Cairo, 1995.
3. The Openness of the Narrative Text, Said Yaqtin, Arab Cultural Center, Casablanca, 1989.
4. A History of Arabic Literature, Shawqi Daif, Dar Al-Maaref, Cairo, 1960–1995, 10 volumes.
5. A History of Arabic Literature – The Islamic Era, Shawqi Daif, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1960.
6. The Development of Narrative Literature in Egypt, Shawqi Daif, Dar al-Ma'arif, Cairo, 6th ed., 1999.
7. Political Symbolism in Kalila wa Dimna, Nuri Hammoudi al-Qaisi, Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma, Baghdad, 1st ed., 1988.
8. Arabic Narrative: A Study of the Narrative Structure of the Arabic Short Story Heritage, Abdullah Ibrahim, Arab Cultural Center, Casablanca, 1st ed., 1990.
9. Arabic Narrative: A Study of Structure and Meaning, Abdullah Ibrahim, Arab Cultural Center, Beirut-Casablanca, 1st ed., 2011.
10. The Art of Storytelling in the Arabic Heritage, Shawqi Daif, Dar al-Ma'arif, Cairo, 5th ed., 1992.
11. Art and its Schools in Arabic Prose, Shawqi Daif, Dar al-Ma'arif, Cairo.
12. Folklore, Ahmed Morsi, Dar Al-Qalam, Kuwait, 1984.
13. On Arab Folk Heritage, Hussein Marwa, Dar Al-Farabi, Beirut, 2nd edition, 1980.
14. On the History of Pre-Islamic Literature, Ali Al-Jundi, Dar Al-Turath Library, 1st edition, 1412 AH – 1991 CE.
15. The Art of the Story, Muhammad Yusuf Najm, Dar Al-Thaqafa, Beirut, 1981.

16. The Art of the Short Story, Yusuf Al-Sharouni, Egyptian General Book Organization, Cairo, 1990.
17. Kitab Al-Ayn, Abu Abd Al-Rahman Al-Khalil ibn Ahmad Al-Farahidi, edited by Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, Dar wa Maktabat Al-Hilal, 8 volumes.
18. Kalila wa Dimna: An Analytical Literary Study, Hussein Mu'nis, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1st edition, 1962 CE.
19. Maqamat of Badi' al-Zaman al-Hamadhani, by Badi' al-Zaman al-Hamadhani, edited by Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid, Al-Azhar Library, 1342 AH/1923 CE.
20. An Introduction to Narrative Science, by Shukri 'Ayyad, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1982.
21. Modern Literary Criticism, by Muhammad Ghunaimi Hilal, Dar Nahdat Misr Press, 1997.
22. A Rhetorical and Analytical Study of the Principles of Styles, by Dr. Ahmad al-Shayeb, Al-Nahda Library, Cairo, 1996, 8th edition.
23. The Dynamics of the Text, by Dr. Muhammad Muftah, (1987)، Dar Ru'ya for Publishing and Distribution, 1st edition.